الطفل الجزائري و صورته المأساوية في شمس القنبلة الذرية الفرنسية وتفجيرها بصحراء الجزائر

د /بن قويدر مختار
جامعة معسكر

لمحة تاريخية:

لقد فشلت فرنسا في ميدان الحرب و جبهات القتال، كما فشلت في محاولة" طمس مآثر الشعب الجزائري و أمجاده عبر التاريخ، بنكران وجود ذاته و منازعته حقّه في أن يكون له تاريخ و ماض مثل أي شعب ، و لقد بذلت كل ما في وسعها في هذا المجال لدعم جهود سياسة الاحتلال الرامية إلى طمس معالم شخصيته و مقوماته بصفته شعباً و مجتمعا، بتقديم الأدلة و الحجج العلمية على انعدام هذه المقومات عبر التاريخ و تسهيل مهمة الإدارة الاستعمارية الهادفة إلى تحويل شعب بكامله من حالة مجتمع مكتمل إلى أفراد مدجنين و كما مهملا لا يستحق الإشارة إليه أو تلمّس ماضيه".[1]

إن الشعب الجزائري شعب أبيٌّ تحمل" كل مظاهر التقتيل الجماعي، و التشريد و التفقير و التجهيل في سبيل الحفاظ على عقيدته الإسلامية السمحة، و لغته العربية المقدسة و وطنه العزيز، و عاداته و تقاليده العريقة السامية و تاريخه المجيد الحافل بالبطولات، و ذلك طيلة ليل الاستعمار الحالك الذي دام أكثر من قرن و ثلث القرن، لم يتزعزع فيها إيمانه أبدا، بل زاده ذلك إيمانا و صمودا و قوة و شجاعة على الجهاد والمواجهة و المقاومة حتى حقق معجزة النصر التي جاد بها لنا الدهر مرة واحدة، و هي الانتصار على العدو وطرد الاستعمار الفرنسي من الجزائر".[2]

لقد كان من الطبيعي أن يتأثر شعراؤنا بهذا الحدث الكبير-حدث تفجير القنبلة النووية الفرنسية الغادرة- والأمر الجلل و الخطير في حياة الجزائر، و أن يحسوا بمدى خطورته على الإنسان في هذه الأرض.[3]

لقد فجرت فرنسا القنابل النووية المدمرة مع حليفتها دولة الكيان الصهيوني[4]ابداية من 13 فبراير 1960، حيث كان لتلك القنابل انعكاسات وخيمة على البيئة والإنسان، وأثر الإشعاعات

المؤيّنة على الدم. تلك التجارب التي بقيت وصمة عار على جبين الاستدمار الفرنسي الغاشم، الذي يفتأ يتشدق بالدفاع عن حقوق الإنسان والحرية والمساواة.

ولهذا يجب على الإنسان الجزائري، و بني البشر جميعا أن لا ينسى الأحداث المأساوية التي جرت وقائعها في رقان و الهقار، و انعكاساتها على حياة البشر و الحيوان و النبات و البيئة. فقنبلة اليربوع الأزرق Gerboise bleue التي كانت طاقتها التفجيرية أكثر بثلاث مرات من قنبلة هيروشيما و ما تبعها من تجارب في منطقة الهقار، ثم التجارب في منطقة رقان في أول أبريل سنة 1960 تحت اسم اليربوع الأبيض Gerboise blanche ، و في 7 ديسمبر من السنة نفسها تحت اسم اليربوع الأحمر La Gerboise rouge وغيرها كانت كلها تجارب يندى لها الجبين الحي و الضمير الإنساني.

والواقع أن فرنسا لم تقم بهذه التجارب النووية فقط، بل قامت أيضا بتجارب أسلحة بكتريولوجي جرثومية وما إلى ذلك من التجارب التي فضلت القيام بها على أرض الجزائر.[5]

والآن؛ حان الوقت لنسائل فرنسا – صاحبة حقوق الإنسان و جمعيات ترقية الحقوق و رعاية الأيتام والأرامل و تدليل النساء الحوامل..!!-

-لماذا لم تجربي-يا فرنسا الحضارة!!-هذه القنابل على أراضيك الطاهرة !! أم خشيتِ على برج إيفل وبناياتك الباهرة وفنادقك الفاخرة؟!!

-أم ترفقتِ بالأطفال هناك والنساء ونهر السين والأنهار الأخرى الهادرة؟؟!

-يا فرنسا حافظت في بلدك على أسراب الطير وجموع العير!

-حافظت على صنوف الحيوان ودفنتِ بصحرائنا النبات والإنسان!!(*)

وإذا زعمت فرنسا أنها تدين بالمسيحية أو النصرانية، فما ارتكبته في الجزائر يتنافى وتعاليم المسيح عليه السلام. ولا ننسى ما تبنته الحركة الكاثوليكية المناهضة للثورة، ولم تتحرر من تبرير الجرائم البشعة وصنوف التعذيب. فهذه مجلة (الكلمة Le verbe) الناطقة بلسانها تقول مثلا:" لا جرم أن الشرائع تقرر تلك العقوبات، ولربما كان المستنكفون منها متأثرين بتيارات عاطفية لا تمت بأية صلة إلى الأخلاق"[6]

وصدق الله العظيم إذ يقول وهو أصدق القائلين:" كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً"[7]، وقال سبحانه في السورة نفسها: "لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ "[8]

قال ابن كثير صاحب التفسير: "يقول تعالى محرضا للمؤمنين على معاداة المشركين والتبري منهم، ومبينا أنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله وكفرهم برسول الله، ولو أنهم إذ ظهروا على المسلمين وأدِيلوا عليهم، لم يبقوا ولم يذروا، ولا راقبوا فيهم إلاًّ ولا ذمة.

قال علي بن أبي طلحة، وعِكْرِمة، والعوفي عن ابن عباس: "الإل": القرابة، "والذمة": العهد. وكذا قال الضحاك والسدي، كما قال تميم بن مُقْبِل: أفسد الناس خُلوفٌ خلفوا ... قطعوا الإلَّ وأعراقَ الرحمِ. وقال حسان بن ثابت، رضي الله عنه: وجدناهُمُ كاذبًا إِلّهُمْ ... وذو الإلِّ والعهد لا يكذبُ. وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلا) قال: الله. وفي رواية: لا يرقبون الله ولا غيره.[9]

وبودّي في هذه المقالة أن أتحدث عن الشاعر الجزائري الذي أصبح جزءا من الثورة، وراح يدعو الشعب برمته إلى الالتحاق بها، لأن فرنسا غدت عدوة الإنسان الجزائري – طفلا ورجلا وامرأة-حيث" كان اختيار الشعراء لطريق المقاومة المسلحة واضحا في شعرهم، وقد تجلى موقفهم هذا في تأييدهم لها ودعوة إخوانهم للانضمام إليها، لأن دروب الحرية بكل ما يحيط بها من أعاصير هي أفضل من هدوء العبودية الرتيب، والشاعر جزء من الثورة، يسكنه جنونها وتضطرم في نفسه نارُها الهائلة.[10]

الشاعر صالح خرفي :الطفل الجزائري صريع الجنون الذري:

اختار الشاعر الجزائري **(صالح خرفي)**[11] أن يكون حديثه على لسان أمٍّ تناجي ولدها الذي يمثل الجيل الذي سيخرج إلى الحياة مشوها مريضا، عليلا لا يقدر على مواجهة الحياة و صعابها، و تدعو ولدها على الثورة التي تعسف بالطغاة و تنسف أولئك الذين يعبثون بالقيم الإنسانية، و يحتقرون الإنسان الذي ولد على هذه الأرض ليعيش في سلام[12]:

وَلَدِي إن سَطتْ علَيكَ الرزايا و أشارتْ لكَالسّما بالمنايا
وَ سَرَى فوقَنا غُبار مبيد فترامتْ صرعى أُلوفُ الضحايا
ولَدِي: فانتفضْ معي ومع الآلا فِ في ثورة تطيرُ شظايا
تنسفُ العابثينَ بالبشرِ الآمنِ والخانقينَزُوحَ البرايا

ثم يمضي صالح خرفي في تعداد زفراته وأنّاته، من خلال زفرات الأم التي ولد لها طفل ثم فقدته، إن هذه الأم حق لها أن تذرف الدم القرمزي بل الدموع.

والملفت للنظر أن الشاعر ينوع في القافية وفي حرف الروي، وهذا شيء جميل، يجعل المتلقي يتفاعل مع النص ويلتذ بقراءته:

ضَاع عُمري إذا افتقدت عزيزي فيك،سفر المنى و سحر العيون
و إذا رمت أن تبوح بسرِّخانك النطق فاحتمي بالسكون
فطويت الأحزان في كفن الصّمـ ـتِ و أطرقت مصغيا للشُّجون
ثم أطلقت للأسى لغةَ الدمـ ـعِ و أسلمت أمرَه للجفون

ثم ينتقل الشاعر إلى حقيقة أمر فرنسا المتغطرسة، فما القنبلة النووية إلا مداراة لفشلها في ميدان القتال، لقد كبّدها أحرار الجزائر و مجاهدوها خسائر فادحة، و أوقفوها في مواقف فاضحة!!فما السبيل يا ترى لستر هذا العار و هذه الهزيمة النكراء؟؟! لا شك في أنها ستفكر في أمر آخر يواري سوءتها ويغشّي استها، وما هذا الأمر إلا التفكير في الانتقام عن طريق تفجير القنبلة الغاشمة.

ولذلك" فجروا هذه القنبلة في صحراء الجزائر..بعد أن فشلت قنابلهم الأخرى في جبالها، و لكن ذرة الرمل، مثل صخرة الجبل، كلتاهما سيان في الدفاع عن هذه الأرض، فإذا وجد جيش الأعداء في الجبال جليدا و ثلوجا تجمّد أطرافهم، فسيجدون في الصحراء النار لتلفحهم و تلهب أجسامهم.. و إذا كانوا قد تاهوا في مجاهل هذه الجبال، ففي الصحراء هلاكهم، و فناؤهم النهائي[13]:

فشِلتْ في الجبالِ قنبلةُ البطشِفرموا تفجيرَها في الصحاري
ذرة الرملِ، صخرة الجبلِ، سيان في الوفاءِ للدمارِ
إن تكُن قسوةُ الجبالِ جليدا إنّ بطشَ القفرِ لفحةُ نارِ
من يتِهْ في مجاهلِ الأطلسِ الوعر، فصحراؤُه بغير قرارِ

إنّ فرنسا لا يهمها شعب يفنى بأسره، ولا تكترث للرأي العام العالمي، إنما هي تسعى من أجل مصالحها وتوفير العيش الرغيد لأبنائها الفرنسيين ولو على حساب الشعب الجزائري:

يا من على الصحراء سال لعابهم كم مورد فيها ، سلوا هل أصدرا؟..
بالذرة الرعناء، أقعد راجلا إشعاعها المودي، و أعمى مبصرا
سنعيد ذكرى القادسية للنهى تهوي بكسرى أو تطيح بقيصرا
سَنَشُنُّها (عُمَريةً) (سَعدِية)[14] سنثير رملتها قُتاماً أغبرَا
إن كُنتم تُجَارَ حربٍ، إن من أجدادِنا من باعَ فيها و اشترَى[15]

وهكذا ينوع الشاعر بين حروف رويه، فمن الياء إلى النون إلى الراء.. و هذا التنويع مقصود منه إثارة القارئ، ولفت انتباهه، و تنشيط ذاكرته.

فلابد للقارئ من الولوج إلى عالم النص الرحب بغية تحليله وتفكيكه وقراءته ، كما تشير أحدث نظريات التلقي إلى الدور البارز لعلماء الاجتماع في ميدان فعل القراءة و التقاء القارئ مع النص المقروء.حيث يرى(**إيزر**) أنّ العمل الأدبي يتشكل من خلال التفاعل الحاصل بين المتلقي - الذي يضع يده على المتن المقروء - وبين الوحدات البنائية النصية ، هذا العمل يُنتَجُ فعليا من مخيال القارئ ، الذي يوصف بأنه هو النص في حقيقة الأمر. "ونظرا للدور الحيوي الذي يضطلع به القارئ في حواره مع النص، باعتباره المصدر النهائي للمعنى، فقد اختلف النقاد في توصيف هذا القارئ، فيتحدث (إيزر) عن قارئ ضمني للنص ، ويقترح (إرفين فلف) قارئا مقصودا ، أي القارئ الذي كان في ذهن المؤلف ، وهو ينجز عمله . أمّا (ريفاتير) فيعرفه بـ : القارئ المتميز،ويصفه (فش) بـ : العارف. وهذه الأوصاف كلها . كما نلاحظ تدور في إطار الكفاءة اللغوية والأدبية ".[16]

غير أن بعض النقاد الجزائريين أناحوا باللائمة على (**خرفي**) لأنه لم يوفق في أحايين كثيرة في شعرية النصوص، حيث كانت أقرب إلى التقريرية و النبرة الخطابية، كما كان غير مجدد في صوره الكثيرة، بل كان مقلدا للشعراء العرب القدامى. و لذلك فـ" إن معايشة صالح خرفي لهذه الصور القديمة أفسدت ذوقه الشعري في بعض الأبيات تعبيرا و تصويرا، و جعلت بعض معانيه جافية لا يرتاح لها الذوق المعاصر، بل لا يرتاح لها الإنسان المتحضر بَلْهَ الشاعر الحساس.. إن الصورة.. تعيد إلى أذهاننا تلك الصور الوحشية البدائية التي تمثل البطولة في أن يتلذذ المحارب بشرب دم أعدائه كما يتلذذ بشرب الخمر، و لو أن الشاعر لم ينسق وراء التعابير و الصور الجاهزة لرفضها، لأنها لا تتماشى مع ذوق المسلم بله الإنسان المتحضر المعاصر".[17]

ولكن الشاعر (**صالح خرفي**) يبين لنا وجهة نظره في هذه القضية، و يستميحنا عذرا، لأن الموقف موقف انفعال يسعى إلى تسجيل لقطة الحدث، لا موقف تسلٍّ و أريحية و إبداع خلاق لشاعر متكئ على أريكته المريحة.

نستمع إليه قائلا:" و في مقدمة ديوان (**أطلس المعجزات**) تطرح هذه القضية الفنية التي ربما انشغل الناقد هو الآخر عنها، و هو في دوامة الانصهار مع الثورة، و الاستعداد المسبق لمعانقة كل ما ينتج عنها، لكن لا تلبث القضية أن تفرض نفسها محل جدل و نقاش، و الزوبعة قد هدأت ، و العواطف الجياشة قد تلاشى زبدها.

تقول المقدمة: و كم تجاذبتني في المجموعة نظرتان متباينتان:

نظرة فنية مثالية تزهدني فيها، إذ اعترف بأن أغلب المجموعة سجل تلبية للمناسبة العابرة وتحت نظرة فنية مثالية تزهدني فيها، إذ اعترف بأن أغلب المجموعة سجل تلبية للمناسبة العابرة وتحت إلحاحها القاسي، وربما برر هذه التلبية الفورية عندي، إيماني بأن الثورة المشتعلة في حاجة إلى صوت يحمس لها، أكثر من حاجتها إلى نغمة(حالمة) تتغنى بها.

وكنت لا أستنكف أن أجد نفسي غير مرة، في موقف خطيب لا شاعر، ما دامت الثورة التي تلهمني تجعلني كأني على صخرة من صخور الأطلس الشامخ، أهيب بالثائرين الأحرار.

وإذا كان العمل الفني في حاجة إلى (هدأة) فتلك التي لم يكن في وسع الثورة المتجددة مع الدقائق والثواني، أن توفرها لنا، ولم يكن في وسعنا أن نمر بالحادثة التاريخية البطولية مر الكرام، سعيا وراء الفن الأمثل."[18]

تجاوب الشاعر صالح خباشة مع الحدث:

وجدنا الشاعر الجزائري **(صالح خباشة)**[19]- بالإضافة إلى حديثه عن الثورة- يصف تفجير **القنبلة النووية** في صحرائنا، فتألم لذلك أشد الألم و قارن بين ما حدث في صحراء **الجزائر** و بين ما وقع في **هيروشيما** أثناء الحرب العالمية الثانية، حين ألقت عليها **أمريكا** قنبلتها المشهورة:

لن تخمدَ النارُفي دنياكَ يا بَشرُ ما دامتِ اليومَ في الصحراء تنفجر
ألا فَسَلْ هيروشيما إنها عِبر لو كان ذا الإنسُ بالتاريخِ يعتبر[20]

و من المطلع ندرك شعوره العميق بهذه الكارثة التي حلت ببلاده كما حلت باليابان، و بعد أن يصف ما وقع لهيروشيما يعود إلى الجزائر التي هي هدفه و غايته، فيصور مأساتَها التي طالت من جراء هذه الحرب، و يرد على الفرنسيين الذين أرادوا أن يرهبوا الشعب الجزائري بذلك ، و لكنه لم يخضع حتى بعد أن فجروا هذه القنبلة فوق أرضه:

قالوا يروعهم تفجيرُذرتِنا فيرفعوا كفهم- عجزا- كما أمِروا
لا يا طغاةُ، فلا إرهابَ يفزعُنا حتى و لو أرضُنا من بطشكِم سقر[21]

ثم ينوه بالثورة ويرد على الأعداء وادّعائهم فيخلص إلى الحديث عن الشعوب وعن رفضها للحرب والقنابل:

نحن الشعوبَ كفرنا بالقنابلِ فهي المحْق للكون لا تبقي و لا تذر[22]

ويوجه خطابه إلى دعاة الحرب و التسلح بينما شعوبهم ترزح تحت وطأة الفقر و البؤس و المرض، و تحيى في رعب دائم تتوجس خيفة من أن تضطرم الحرب و يشتد أوارها في أية لحظة، لأن الصواريخ مستعدة للانطلاق بدعوى الدفاع عنها، و هي في حاجة إلى شيء آخر:

دَعُوا التسلُّحَ، كم ناءتْ بهِ دولُ شعوبُها في الشقاءِ و البؤسِ تحتضر
فالجهلُ ينخرُها ، و الداءُ يقتلها و البطنُ في سغبٍ، و القلبُ منفطر
فملّكُوها صواريخَنا، و قيلَ لها: كي تتقيَ خطرا إن أحدقَ الخطر[23]

والشاعر بوصفه إنسانيا يؤمن بالعقل و يطلب من دعاة الحرب أن يحكموا ألبابهم بدلا من غرائزهم[24]:

لم العقولُ إذنْ إن لم تكن حَكَماً يومَالنزاعِ ، و بالألبابِ تفتخر[25]

لقد وجدنا الشاعر **(صالح خباشة)** متفاعلا مع الأحداث، ذائبا في مجريات الثورة، يؤمن أن اللحظة هي لحظة تضحية، فعلى جميع أبناء الجزائر أن يتعاضدوا و يتآزروا مع قضيتهم الكبرى: الثورة التحريرية حتى إنه ليوجه النداء إلى الطالب الجزائري داعيا إياه إلى مدرسة القتال و ساحات الوغى ضاربا صفحا عن الكلام الرنان و البلاغة المترهلة، فالحين حين بلاغةِ قتال و وقت فِعال:

ليسَ الشهادةُ صفحة نحظى بها إنَّ الشهادةَ موتُنا شهداء
لتكنْ معاهدك الجبالَ ندرسها أجدى و أرسخ في الحياةِ بقاء...
ليس البلاغةُ أن تشقشقَ هادرا كلا و لا أن تحسنَ الإلقاء
فالبس لسلمك لُبسَه والْبسْ لحر بكَ دِرْعَهُ فتحرِّر البلغاء[26]

مفدي زكريا وقصيدة: وليد القنبلة الذرية:

أما الشاعر الجزائري **(مفدي زكريا)**[27]فقد انفعل لهذا الحادث، و تأثر بهذه التجربة المدمرة التي فجّرتها فرنسا فوق أرضنا.. لتقضي على الجنس البشري، لا في الجزائر فحسب، و لكن في أفريقية كلها.

نجد الشاعر في قصيدة (**وليد القنبلة الذرية**) يتحدّث عن هذا الطفل الذي أول ما تكتحل عيناه، تكتحل بغبار الذرة السامّ. إن هذا الطفل يمثل جيلا كاملا سيخرج إلى الحياة و كله عاهات و أمراض و مركبات إنه يولد أعمى لا يرى الكون الباسم، و لا يمشي على هذه الأرض إلا مقعدا كسيحا، إنه يولد أخرس لا يتكلم و لا تفرح أمه- و هي تهدهده في المهد- بهذه الكلمة الساحرة: أماه.. إنه جيل الموت، جيل الويل الجيل المشلول.[28]

إن قصيدة (وليد القنبلة الذرية) قصيدة مفعمة بالحسرة والتوجع، مليئة بالتذمر والأسى، لما لاقاه الشعب الجزائري من أذى وتلويث للبيئة جراء ذلك التفجير الغاشم.

يقول:

ما دهاه..؟ ويلُ أمِّه..ما دهاهُ؟؟ ويلتاه، من جيلهِ ويلتاهُ؟؟
مالهُ في الحياةِ، يولدُ أعمى؟ لم ترَ الكونَ، باسماً مقلتاه؟
مالهُمقعداً، يدحرجُ رجليـ ـهِ؟.. و ما ذا جنى، فشُلَّت يداه؟
مالهُ، لم تزل تهدهدُهالأ... مُّ، و لم تستمع لها، أذُناه ؟
مالَه أخرساً، تناجيه في المهـ ـدِ، و لم تبتسم لها، شفتاه؟
و لماذا لم يبكِ، بين ذراعيـ ـها دلالاً، ...و لم يقل: أمَّاه؟
ألهذا الوجودِ، جاء وحيداً؟ أم له في زمانه أشباه؟
ويلتاهُ من جيلِه ويلتَاه ؟ [29]

بعد هذا المقطع الذي يتناغم مع جو الرهبة والحزن، والخوف من المصير الغامض والمستقبل البئيس ينتقل الشاعر إلى مقطع آخر، بحيث نجده يصف **وليد القنبلة الذرية** بأنه قربان التجارب الفرنسية فهو ضحية سياسة ماكرة، جعلت منه خلقا مشوها، ولكنه لعنة أبدية تلاحق فرنسا ما عاشت وعاش شعبها. يقول:

قذفتْه إلى الحياة، يد المو ت، فلم يقضِ في الحياة ربيعا
وسقته السمومَ، في عالم الغيـ ـبِ، فرنسا...فجاء شكلا مُريعا
ابنُ إفريقيا الشهيد، و قد خـ ـرّ على مذبح الطغاة صريعا
تَخِذَتْ منه " للتجارب" قُربا ناً، فرنسا، فحطته رضيعا
شوَّهتْ خَلقَه، جريمتُها الكبـ ـرى: و جرّته للخراب سريعا
ليته ظل في الفضاء بخاراً ليته دام كالشعاع، رفيعا![30]

ثم بعد ذلك، يعرج على شعب إفريقية، هذا الشعب الذي أصبح لقمة سائغة في فم الغول البشع والسعلاة الشمطاء: **فرنسا**، التي أهلكت الحرث والنسل وعاثت في الديار فسادا، وحولت البلاد الآمنة إلى خراب ودمار، وإرهاب ووعيد بالحديد والنار. غير ناسٍ في نفس الوقت تذكير الشعب الإفريقي طُراً، بأن يهب لأخذ حريته السليبة بدفع فلول الشهداء إلى ساحات الوغى، وعليه أن ينفجر كما ينفجر المرجل المكظوم، وهنا نلاحظ التناغم والتناسق الفني بين دعوة الشاعر إلى الانفجار ضد الظلم وانفجار القنبلة الذرية! يقول:

شعبُ **إفريقيا**،أحاط به المكـ ـر فأمسى للمجرمينَ، ضحية
و رمته عَبرْ القرون، فرنسا طُعمةً **للقنابلالذّرية**
و سرى الموت فيه، جيلاً فجيلاً يومَ هزت شعوبَه الحيوية
شعبَ إفريقيا ، ستنصفك الـ ـدنيا، و تُصغي لك الشعوب الأبية
و سيحكي هذا الزمانُ، و يروي للبرايا، فضائحَ، المدنية
فخُذِ الثأرَ من **فرنسا**، و خلدْ في الضحايا تلك النفوس الزكية
و انفجر صارخا ...و قل:يا **فرنسا** أنتِ في الأرض، هفوةٌ أزلية!
يا فرنسا...يا لعنة البشرية!![31]

قراءة أسلوبية:

و الآن لنطرح سؤالا مفاده: ما فائدة التنويع في قافية قصيدة (وليد القنبلة الذرية)؟؟
نجد الشاعر مرتبطا بالحدث والمناسبة، فهو من جراء ذلك ينوع في القافية والروي، والتنويع دلالة على الاضطراب وعدم السكون فكيف يكون هادئا والأطفال الأبرياء يولدون مشوهين مشلولين. ففي المقطع الأول جاءت الأبيات حافلة بحرف الهاء، وهو من الحروف الجوفية، يخرج دون عناء وعليه بنى الشاعر القصيدة، والقافية في هذه الأبيات انسيابية.[32]
أما في المقطع الثاني من القصيدة، فجاءت القافية موصولة بحرف الألف متبوعة بدخيل، و العين رويا للقصيدة (صريعا، رضيعا، سريعا،..)و هو صوت حلقي له وقعه المجلجل.

وفي الأخير ختم الشاعر قصيدته بمقطوعة، مقيدة القافية، وحدها هي التي يكون رويها ساكنا. وإذا كان النقاد القدامى يعدون القافية الملتزمة في القصيدة، و المتحدة في الروي إحدى خصائص الشعر العربي و أحد أسباب خلوده،[33]فإن النقاد المحدثين ذهبوا خلاف ذلك، و عدوا أنّ" التزام الشعر العربي قافية واحدة مكررة في القصيدة، يفقده شيئا من جمال تكسبه القصيدة التي **تنوعت** قوافيها..و الجمال الزخرفي المكون من تكرار الوحدات أقل جمالا من الطبيعة المنوعة المحتوى".[34]
فقد كان مفدي - دائما – يكره الرتابة التي يجدها في القصيدة الموحدة القافية، و لذلك وجدناه بين الحين و الآخر ينوع في القوافي، و إن التزم ببحر واحد في القصيدة.[35]

وهكذا لم تعد القصيدة عند الشاعر الجزائري " ترفيهية أو جمالية هدفها المتعة الذهنية أو الروحية فقط، بل مهمتها بالدرجة الأولى اجتماعية و إنسانية تخدم أهدافا سامية نبيلة.[36]

بل حتى إنّ مفدي زكريا وجدناه لم يهتمَّ بجانب الصنعة الفنية قدر اهتمامه بالتعبئة الثورية والتحسيس النضالي، فها هو ذا يقول في اللهب المقدس:" لم أُعْنَ في اللهب المقدس بالفن والصناعة، عنايتي بالتعبئة الثورية وتصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي غمستها في جراحاته المطلولة."[37]

الاحالات:

1. قنّان، جمال، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر. (الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994)، ص:16
2. مياسي، إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837 -1934).(الجزائر، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، 2009)،ص:5
3. ينظر: ركيبي، عبد الله، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، تقديم: صالح جودت.(الجزائر، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر و التوزيع ،2009)،ص:166
4. يراجع: العبودي، عبد الكاظم (أستاذ بجامعة وهران) في مقابلة تلفزيونية بقناة المنار الفضائية اللبنانية، موسومة "الثورة الجزائرية ج 1" يؤكد فيها ضلوع إسرائيل في القنبلة النووية الفرنسية التي فجرت برقان بالصحراء الجزائرية، والأمر الذي يجمع الطرفين واضح (المصالح المشتركة، الحقد الدفين لكل العرب، شساعة صحراء الجزائر، تجريب السلاح النووي الإسرائيلي. والبحث مفتوح لأهل الاختصاص!!)
5. (أول نوفمبر) مجلة سياسية تاريخية ثقافية اجتماعية، (الجزائر المنظمة الوطنية للمجاهدين، ع:161 – 1999)، ص:51
6. أحمد طالب الإبراهيمي، رسائل من السجن: تعريب الصادق مازيغ. (تونس، الدار التونسية للنشر – تونس. 1973)، ص:54
7. سورة التوبة، الآية 8
8. سورة التوبة، الآية 10
9. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم: تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط:2.(دار طيبة للنشر والتوزيع،1420هـ - 1999 م)،ج:4،ص:115
10. سلمان، نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ط:1(بيروت، دار العلم للملايين، 1981)، ص:391
11. خرفي، صالح، شاعر جزائري من مواليد 1932 بالقرارة (غار داية) دكتوراه سنة 1970، عمل أستاذا بجامعة الجزائر وبعض الجامعات العربية. اشتغل منذ 1976 بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس، عضو في عدد من المجامع اللغوية ولجان التعريب وإصلاح التعليم عضو اتحاد الكتاب الجزائريين. من أعماله الشعرية: صرخة الجزائر الثائرة، نوفمبر، أطلس المعجزات، أنت ليلاي. شعراء من الجزائر(دراسة)، شعر المقاومة الجزائرية، محمد السعيد الزاهري، الشعر الجزائري الحديث، عمر بن قدور الجزائري، صفحات من الجزائر(دراسات). توفي رحمه الله تعالى سنة 1999م.(ينظر: خدوسي، رابح ، موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين ،ص:160).

12. ركيبي، عبد الله، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، تقديم: صالح جودت، (الجزائر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع ،2009)، ص:166

13. ركيبي، عبد الله، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص:168

14. النسبة هنا إلى عمر بن الخطاب، و سعد بن أبي وقاس –رضي الله عنهما-و ما لهما من مواقف مشرفة في تاريخ المسلمين في التصدي لجحافل الروم و الفرس، و كأن الشاعر يربط بين فرنسا المتغطرسة الظالمة التي سلبت الجزائريين حقهم و سطت على أرض جزائرية-و هي عربية و إسلامية-و بين الروم و الفرس اللتين كانتا قد سطتا على الكثير من أراضي العرب، كالعراق و بلاد الشام..حتى جاء المسلمون و حرروا تلك الأرض من براثن المحتل ، فالتشابه واضح بين المحتلين قديما و حديثا.

15. خرفي، صالح، أطلس المعجزات، (الجزائر الشركة الوطنية الجزائرية للنشر و التوزيع – 1968)، ص: 178-177

16. ينظر: عيسى، فوزي، النص الشعري وآليات القراءة، الإسكندرية، منشأة المعارف، جلال حزي وشركاه، د . ت)، ص:22 – 23.

17. ناصر ،محمد ، الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته و خصائصه الفنية(1925 - 1975)، ط:1،(بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي – 1985)،ص:435 - 436

18. خرفي، صالح، الشعر الجزائري الحديث، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،1984)، ص: 229

19. صالح خباشة "بابا بكير" شاعر جزائري من مواليد 16 ماي 1933 بالقرارة(غرداية)بعد تعليمه الابتدائي و الثانوي انتقل إلى تونس فدرس بالزيتونة، ثم بغداد بالعراق الشقيق إذ أتم دراسته متحصلا على ليسانس في الأدب 1961.تقاعد من التدريس العام 1991، و من مؤلفاته: الروابي الحمر(شعر)، مجموعة من المقالات الاجتماعية و الوطنية. عضو اتحاد الكتاب الجزائريين. (ينظر: خدوسي، رابح ، موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين، ط:1(الجزائر،دار الحضارة – 2003)،ص:158 - 159.

20. خباشة، صالح ، الروابي الحمر ،(الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – 1971)،ص:122

21. المصدر السابق: 124

22. المصدر نفسه: 126

23. المصدر نفسه: 127

24. ينظر: ركيبي، عبد الله، الشعر في زمن الحرية، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994)، ص:142-144.

25. الروابي الحمر، ص:127

26. الروابي الحمر، ص:20-21

27. ولد مفدي زكريا(الشيخ) سنة1913 ببني يزقن (غرداية)، بعدما درس ببلدته، التحق ضمن البعثة المزابية بتونس، ثم الزيتونة. كان ثوريا سياسيا، و ثائرا على العدوان الفرنسي، فانضم إلى حزب الشعب الجزائري و أصبح شعره أناشيد تغنى بالعربية و باللهجات المحلية. سجن عدة مرات. فر من السجن سنة 1959 والتحق بصفوف جبهة التحرير الوطني بالخارج. له من الأعمال الشعرية: اللهب المقدس 1961، تحت ظلال الزيتون 1966، من وحي الأطلس 1976، إلياذة الجزائر 1973. له من الكتب: الأدب العربي في الجزائر، أنتم الناس

أيها الشعراء وذلك بالاشتراك مع الأديب التونسي: الهادي العبيدي. وكتاب: صلة الرحم الفكرية بين أقطار المغرب العربي الكبير، وذلك بالاشتراك مع التونسي الحبيب شيبوب. وله الكثير من الأعمال الأخرى مخطوطة(نثرية). كما لا يفوتنا أنه هو صاحب النشيد الرسمي للثورة الجزائرية وللدولة الجزائرية(قسماً) والذي نظمه سنة 1955م ولحّنه الموسيقار المصري محمد فوزي. توفي رحمه الله تعالى في أوت 1977م بتونس ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ببني ميزاب. (ينظر: خدوسي، رابح، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ص:260).

28. ينظر: ركيبي، عبد الله، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص:168-169

29. زكريا، مفدي، اللهب المقدس، ط:2، (الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب –1991)،ص:161-162)

30. المصدر نفسه، ص:162

31. اللهب المقدس، ص:165

32. بري، حواس، شعر مفدي زكريا: دراسة وتقويم، (الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية-1994)، ص:277-278

33. ابن قتيبة، الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، (بيروت، دار إحياء الكتب العربية –1954)، ص:1.

34. نجيب محمود، زكي، الصورة في الفلسفة والفن، مجلة (المجلة)، ع: 27 مارس 1959، ص:70

35. بري، حواس، شعر مفدي زكريا: دراسة و تقويم، ص:280

36. درّار، أنيسة بركات، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، (الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب –1984)، ص:62

37. اللهب المقدس، ص:2